

## الثقافة الشعبية

### كوسيلة من وسائل القضاء على الأمية

للاستاذ حسين حمدي

لسنا هنا في معرض التدليل على فوائد هذا المشروع ومزاياه ، ولسنا نتقننا شواهد الحال أو دلائل الواقع لتؤكد قيمة الأثر المعنوي والمادى لتلك النقطة الاجتماعية الكبرى ، من مرحلة الأمية المطبقة إلى عصر التفتح العقلي والنمو الفكري لأبناء قطر شع منه نور العلم والعرؤن منذ آلاف من السنين ، وقت أن كان العالم الخارجي أو كثير من بقاعه يغط في جهالة عمياء ، لا تفهم عيش الحضارة ولا تستطيع أن تحيا حياة المجتمع الإنساني المتمدين .

وإذا لم يكن من أبرز فوائد هذا المشروع الجليل سوى إعداد الناخب الوطني وتفتيح ملكات الملاحظة ومواهب النقد ، وقدرة الحكم على الأشخاص والأشياء عنده ولو عن سبيل التدرج والتطوؤ ، لكفى ذلك باعثاً على مناصرتنا له ، وعقدنا الخناصر والعزائم على الدعوة إليه ، وموالاته تنفيذه بصدق وإيمان .

وعامل الزمن وحده هو العنصر الفعال في نجاح هذه المشروعات وإتائها ثمارها المقصودة وليست ثلاث سنوات أو خمس أو عشرة بالشئ المذكور في مصائر الانقلابات السلمية ، التي تقضى على عوامل التفهيم والانحلال في حياة المجتمعات .

فما بد من أن تلفتنا هذه الحقيقة إلى قيمة التأي والمثابرة لاستخلاص النتائج الاجتماعية المرهوقة ، ولو تراخت بنا فقرة التنفيذ والتطبيق ، في سبيل إعداد أجيال جديدة خلصت من وصمة الأمية وانطلقت من عقاب هذا الجلود العقلي الذي ران علينا طيلة أزمان !

ومن شأن هذا الواقع الاجتماعي أن يحفزنا إلى التطلع قليلاً إلى الخطوة التي يجب أن تتلو هذا المشروع ، لنستشرف لمستقبل الثقافة لتلك العقول التي كادنا فيها الأمية ونهضنا بها إلى مستوى آدمي يفهم ، واو إلى قدر ، معنى الحقوق والواجبات .

فأساليب هذا المشروع كما طالعناها وفهمنا ما تجبه في جوهرها إلى الاكتفاء بتعليم الأميين مبادئ القراءة والكتابة ، مع قليل من العلوم الأخرى أهمها الدين والحساب ... الخ . فهذه الألوان الثقافية المبسطة لن تكون ، خلال مرحلة المكافئة ، من عمق الأثر ، بحيث تحتق معنى التحرر من قيود الأمية ، وتجذب المحررين إلى موالاته حياة الدراسة الشخصية التي تصقل العقل وتمي فيه محصول تلك المعلومات .

فإننا لشرع إذن يجب أن لا نسينا وجوب ملاحمة هذه الخطوة التمهيدية بخطوة تكميلية أخرى ، لا تقل من حيث الضرورة بل الخطوة الأولى التي استرنا بها معركة كفاح نرجو أن يكون موصولاً .

وحياة التثقيف العتلى لا تعرف التقطع والارتجال ، فليس من مقتضى سياسة المكافئة الحالية ، أن نقف عند حد تمكين الأُميين من فك "رموز" القراءة والكتابة فحسب ، بل إن طبيعة المشروع ومرونته هما خير تمهيد لمواصلة ما يمكن أن نسميه بعملية تثقيف الشعب . وهي عملية اعترف وزير المعارف في تقريره القيم باختصاص وزارة الشؤون الاجتماعية بها ، لأنها تنفق وطبيعة مهمتها في المجتمع المصرى - وهذه الوزارة هي التي ستحتضن مشروع التثقيف الشعبي حتى آخر مراحلها ، وهي التي يتيسر لها أن تكافئ "الأمية" بين جماهير أُنقذتهم من "الأمية المطبقة" وأذاقهم نعمة القراءة والكتابة ، فشعروا بأدبيتهم وسهل عليهم أن يستمتعوا بحياتهم على وجه أفضل مما كان عليه الحال من قبل .

تفلق "البيئة الثقافية" في كافة الأقاليم والأجزاء التي تخضع لمشروع مكافئة الأمية ، هي مناط النجاح العمل لهذه السياسة .

فكيف السبيل إلى خلق هذه البيئة لإحداث الأثر الاجتماعي المرجو بين طبقات الشعب التي ستفيد من مشروع مكافئة الأمية ؟

أول وأهم ما يجب أن يتجه إليه اهتمام المعنيين بسياسة التثقيف الشعبي أن يقوموا بتأسيس ما يسمى بالمكتبات الشعبية . فهذه المكتبات هي في الواقع بمثابة جامعات الشعب الحرة ، لا تخضع لقيود المعاهد والمدارس تفضل أبوابها مفتوحة لطلابها طيلة سحابة اليوم ، فالمكتبة هي مركز الإقليم الثقافي ، ونواة الجماعة من عشاق الاطلاع والقراءة وحب التعرف على تيارات الحياة التي تتجاذبهم في صور مبسطة وألوان فكرية سهلة الهضم .

وهذا الموضوع يقضى بتنظيم برنامج اجتماعى جديد يدرس البيئة العتلية في الإقليم ويقف على مدى استعدادها بعد إتمام مرحلة المكافئة التي تعد الأفراد للقراءة . ومن شأن هذا الأمر أن يقضى بتزويد المكتبة الأقليمية بنوع من المؤلفات السهلة العبارة القريبة في أساليب التعبير إلى أفهام العامة ، فتتناول المواضيع العامة والشؤون الداخلية الهامة في سلاسة تبسط لهذه الأذهان القضية التي بدأت تفتح للعرفة ، ما يشكل عليها من الحقائق والمعارف التي تنبت في تضاعيف الكتب الأخرى التي تقتضى فهما أرقى وأفقا عقليا أرحب .

ولا يضير وزارة الشؤون الاجتماعية أن تعقد المباريات والمسابقات ذات الجوائز القيمة ، تدعو فيها فريق المؤلفين والكتاب إلى تأليف مثل هذه العجالات والكتب وتحليلها بالصور والرسوم لتجذب ميول هذه العقليات وادتمامها . وطبعاً يراعى أن تتناسب هذه المؤلفات وأسانهم ومهنتهم .

ولا بد لنجاح مثل هذه الثقافة أن تكون قريبة الصلة بالوسط الاجتماعي في الإقليم ، فتدرس أحواله وتستقص شؤونه وتبحث مشاكله وتفتح لهذه العقليات أفقا جديداً يعينها على فهم مستوى حياتها لتكون عاملاً من عوامل ترقيته والنهوض به .

ولا بد لتعميم فائدة هذه المكتبات من أن تلتحق بها قاعة للاحاضرات التي يلتقيها إخصائيو اجتماعيون في أساليب ميسرة يفهمها الريفيون والعمال ؛ حيث تعرض عليهم الأشرطة السينمائية والرسوم واللوحات المختلفة التي تستخدم كوسيلة إيضاح لزيادة الشرح والتبيل والقريب إلى الأدهان ، ويجب أن تكون هذه المكتبات نواة المراكز الاجتماعية على الأقل في ناحية من أهم نواحي نشاط هذه المراكز ولذلك يحسن أن تخلق لها بوزارة الشؤون إدارة خاصة لتعنى بشؤونها كافة - ولهذا الإدارة مثيل في كل الدول الأوروبية حيث يجنده موظفوها وعمالها للقيام بأعباء هذه الخدمات الاجتماعية العامة التي لها أكبر الأثر في تكوين الرأي العام وخلق الاتجاهات الثقافية الراقية التي ترتفع من مستوى الشعب .

وعلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، مستعينة بالهيئات الإدارية ، أن تعمل على تشجيع الأغنياء والمثريين للتبرع بتأسيس هذه المكتبات والمساهمة في تزويدها بالكتب والإدوات اللازمة ، حتى يمكن للعونة والتنظيم الحكوميين من أن يسيرا جنباً إلى جنب مع التشجيع الأهلي ، قايماً بفرض التضامن الاجتماعي الذي يجب أن يسود اتجاهاتنا القومية لإقالة هذا الوطن من عثار تأخره .

وستكون هذه المكتبات من وسائل تسهيل سبل العلم والقراءة لجماعات القرويين والعمال ، إذ تكون المكتبة بأمثاتها وعمالها في خدمة روادها والمترددین عليها حيث يطالعون المؤلفات السهلة والجرائد والمؤلفات ، وفهم كل ما له ماس بشؤون حياتهم عن طريق المحاضرات والمناقشات .

وفي هذا عصر ، تعمل الدول المنحصرة على تزويد الراشدين من أبنائها الذين لم تتح لهم ظروف حياتهم سوى حظ ضئيل من الثقافة لا يكفي لمواجهة أعباء الحياة العصرية ، بألوان ثقافية جديدة ، يستكملون بها ما فاتهم من التربية في متاهد التعليم .

وقد بين " الكتاب الأبيض " سياسة الحكومة الانجليزية في هذا النوع من التعليم وقال إن الحكومة تعترم تهيئة الفرص الكافية لتثقيف الشعب ، بعد ما ثبت لها أنه لا بد في حياة كل إنسان من تعليم متلاحق متواصل ، لتثقيت النتائج التي يحصل عليها الشبان في المدارس وكذلك بين الكتاب الأبيض أن نظام التعليم لا يكون كاملاً إذا لم يعن بتثقيف الكبار . ولذلك أعارت الحكومة الانجليزية والحكومة السكندنافية ، من قبل ، موضوع المكتبات الشعبية أجل جانب من عايتها ، حتى تهض بمستوى الشعب فيتخلص من وصمة الأمية التي تلتحق من لم ينل من التحصيل إلا نصيباً نافعاً لا يكفي لإعداده لمواجهة الحياة العصرية المتقدمة .

فما أحرمان نحن ، وقد بدأنا ننفض عنا غبار الأمية والجهل ونطوى صفحة من الحياة لنستهل صفحة أخرى جديدة ، أن نأخذ بسياسة تثقيف الشعب على أوسع نطاق لها ، ولا سيما بعد أن عرفنا أننا أحق الأمم بمحاربة هذه الرصمة التي تقف عقبة كاداء في سبيل تـ كيد نظمنا البيانية ورفع مستوى حياتنا الاقتصادية والفنية إلى مستوى يليق بأمة لها ماض عظيم في الحضارة والعمران .  
حسين حمدي